



دعوى ردة أهل البحرين في الميزان

الشيخ غازي عبد المحسن السماك

المقدمة

بعد أن التحق النبي الأعظم ﷺ بالرفيق الأعلى ﷻ تصدّعت الأُمّة الإسلامية بإقصاء الخليفة الشرعي للمسلمين ألا وهو أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام عن منصب الخلافة الذي نصبه رسول الله ﷺ بأمر من السماء.

روى الطبري في تاريخه: "لما مات رسول الله ﷺ وفصل أسامة، ارتدت العرب عوام أو خواص، وتوحى^(١) مسيلمة وطليحة، فاستفلف أمرهما، واجتمع على طليحة عوام طيء وأسد، وارتدت غطفان إلى ما كان من أشجع وخواص من الأفناء فبايعوه، وقدمت هوازن رجلاً وأخرت رجلاً أمسكوا الصدقة إلا ما

كان من ثقيف ولفها، فإنهم اقتدى بهم عوام جديلة والأعجاز، وارتدت خواص من بني سليم وكذلك سائر الناس بكل مكان^(٢).

وجاء في وفيات الأعيان لابن خلكان: "وأما مسيلمة وطليحة فإن أمرهما استغلظ واجتمع على طليحة عوام طيء وأسد وغطفان وارتدت قبائل العرب إلا قيساً وثقيفاً، ومنعوا الزكاة فأشار الناس على أبي بكر بأخذ العرب بالصلاة ومسامحتهم في الزكاة، فقال والله لو منعوني عقلاً أو عناقاً مما كانوا يؤدون إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على ذلك"^(٣). إن المتتبع والمتأمل في النصوص التاريخية لا بد له أن يفرق بين طائفتين أمر الخليفة الأول بمحاربتهما.

الطائفة الأولى: أهل الردة كمسيلمة الكذاب وطليحة بن خويلد والأسود العنسي وسجاح اليربوعية.

الطائفة الثانية: مانعوا الزكاة وممسكوا الصدقة كقبيلة بني يربوع من بني تميم ومالك بن نويرة وقبيلة بني كندة .

وإن جعلهما مؤيدوا السقيفة طائفة واحدة، خلطاً منهم للأوراق وتزويراً للحقائق وتبريراً لقتل من رفض الإقرار بخلافة الخليفة الأول ولزوم مبايعته. فالطائفة الأولى جحدت الرسالة وتركت الصلاة وكفرت بعد إسلامها وجيشت الجيوش لمحاربة الإسلام.

بينما الطائفة الثانية بقت على صلاتها لقبلة المسلمين وأقرت بالإسلام، إلا أنها امتنعت من إعطاء الزكاة لأبي بكر وأبت إلا أن تسلمه للخليفة الشرعي الذي نصبه رسول الله ﷺ بصريح حديث الغدير وغيره.

وقد وفرت حركات الردة المناخ الملائم للإقدام على تصفية الخصوم والمناوئين لسقيفة بني ساعدة، الذين رفضوا ما فرضته تلك السقيفة على الواقع الإسلامي من خلال تنصيب أبي بكر وتوجيهه كخليفة لرسول الله ﷺ من بعده.



وعلى هذا الأساس نرى بأن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب قد ميّز بين الطائفتين من خلال التفريق في الدوافع ومن ثم التفريق في كيفية المواجهة، فقد نصح عمر بن الخطاب أبا بكر بأن يُعرض عن فكرة المواجهة المسلحة مع مانعي الزكاة، إلا أنه لم يفلح في ذلك، لأنّ أهمّ الأكبر للخليفة الأول كان يتمثل في استتباب خلافته ووئد أي تمرد يضر بإمرة المسلمين.

جاء في كتاب الردة للواقدي على لسان أبي بكر وهو يخاطب عمر بن الخطاب: "وَأَمَّا مَنْ ارْتَدَّتْ مِنْ هَؤُلَاءِ الْعَرَبِ، فَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُصَلِّي وَقَدْ كَفَرَ بِالصَّلَاةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُصَلِّي وَقَدْ مَنَعَ الزَّكَاةَ، وَلَا وَاللَّهِ يَا أَبَا حَفْصٍ مَا أَفْرَقُ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ لِأَنَّهُمَا مَقْرُونَتَانِ. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ، فَلَوْ أَغْمَضْتَ وَتَجَافَيْتَ عَنْ زَكَاةِ هَؤُلَاءِ الْعَرَبِ فِي عَامِكَ هَذَا وَرَفَقْتَ بِهِمْ، لَرَجَوْتُ أَنْ يَرْجِعُوا عَنْ مَا هُمْ عَلَيْهِ، فَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: "أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَإِنِّي مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، فَإِذَا قَالُوهَا فَقَدْ عَصَمُوا مَنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ" (٤).

وقد أشار إلى هذا التفريق أيضاً شيخ الطائفة في مبسوطه، حيث قال: "أهل الردة بعد رسول الله ﷺ ضربان:

منهم: قوم كفروا بعد إسلامهم، مثل مسيلمة، وطليحة، والعنسي وأصحابهم، وكانوا مرتدين بالخروج من الملة بلا خلاف.

الضرب الثاني: قوم منعوا الزكاة مع مقامهم على الإسلام وتمسكهم به، فسموا كلهم أهل الردة، وهؤلاء ليسوا أهل ردة عندنا وعند الأكثر (٥).

أهل الردة:

الذين ادعوا النبوة وجمعوا الجيوش لحرب المسلمين، من قبيل:

١- الأسود العنسي.

٢- طليحة بن خويلد.

٣- مسيلمة الكذاب.

وردة هؤلاء إنما كانت في فترة حياة النبي ﷺ^(٦).

قال الطبري في تاريخه: "وقع بنا الخبر بوجع النبي ﷺ ثم بلغنا أن مسيلمة قد غلب على اليمامة، وأن الأسود قد غلب على اليمن، فلم يلبث إلا قليلاً حتى ادعى طليحة النبوة وعسكر بسميراء، واتبعه العوام واستكتف أمره"^(٧).

وقد سير الخليفة الأول الجيوش لقتال هؤلاء المتنبيين من أهل الردة، فأما الأسود بن كعب العنسي فإنه غلب على صنعاء ونجران، فكتب رسول الله ﷺ يأمر بقتله فقتله فيروز الديلمي في منزله، وجاء رسول الله ﷺ الخبر بقتله من السماء، فأخبر به أصحابه، ثم وصل المخبر بقتله إلى المدينة بعد وفاة رسول الله ﷺ. وقيل إنه قُتل في خلافة أبي بكر^(٨).

وأما مسيلمة الكذاب واسمه ثامة بن حبيب، فقد قتله وحشي قاتل الحمزة عم النبي ﷺ^(٩).

وأما طليحة بن خويلد، فقد انهزم حتى لحق بالشام، وقتل من أصحابه جمع كبير ثم أسلم طليحة بعد ذلك لما بلغه عن أسد وغطفان، ولم يزل مقيماً في كلب حتى مات أبو بكر، ثم أتى عمر فبايعه، ورجع إلى ديار قومه^(١٠).

مانعوا الزكاة:

وهم الذين أمسكوا الصدقة بعد أن صعدت روح النبي ﷺ إلى بارئها، ولم يرتدوا عن الإسلام، بل أقروا به وأقاموا الصلاة، كقبيلة بني كندة و بني تميم. فكان من أمر بني تميم أن رسول الله ﷺ توفي وقد فرق فيهم، وجعل مالك بن نويرة على بني يربوع^(١١).

فلما توفي رسول الله ﷺ أمسك مالك وقومه الصدقة، حتى يستبين الرأي في خلافة رسول الله ﷺ، فلما جاء الرأي على خلافبيعة الغدير، امتنع مالك عن إعطاء الزكاة لغير من نصبه النبي ﷺ، فلذا توسط خالد بن الوليد أرض



البطاح، قاصداً محاربة بني اليربوع وقتل مالك ابن نويرة، مستفيداً من غطاء محاربة أهل الردة لمحاربة من رفض بيعة الخليفة الأول ومن ثم الامتناع عن إعطاء الزكاة، لكي يحول دون انتشار حركات المعارضة للخليفة الأول^(١٢).

قال ابن الأَعمش في الفتوح: "وبالبطاح يومئذ رجل من أشراف بني تميم يقال له: الجفول، لأنه جفل إبل الصدقة ومنع الزكاة وجعل يقول لقومه: يا بني تميم إنكم قد علمتم بأن محمد بن عبدالله قد كان جعلني على صدقاتكم قبل موته، وقد هلك محمد ومضى لسبيله، ولا بد لهذا الأمر من قائم يقوم به.

فلما بلغ كلامه أبا بكر والمسلمين فازدادوا عليه حنقاً وغيظاً، وأما خالد بن الوليد فإنه حلف وعاهد الله ﷻ لئن قدر عليه ليقتلنه وليجعلن رأسه أنفية للقدور. قال: ثم ضرب خالد عسكره بأرض بني تميم، وبث السرايا في البلاد يمناً ويسرة. قال: فوقعت سرية من تلك السرايا على مالك بن نويرة فإذا هو في حائط له ومعه امرأته وجماعة من بني عمه، قال: فلم يرع مالك إلا والخيل قد أهدقت به، فأخذوه أسيراً وأخذوا امرأته معه وكانت بها مسحة من جمال. قال: وأخذوا كل من كان من بني عمه فأتوا بهم إلى خالد بن الوليد حتى أوقفوا بين يديه. قال: فأمر خالد بضرب أعناق بني عمه بدياً. قال: فقال القوم: إنا مسلمون فعلى ماذا تأمر بقتلنا؟ قال خالد: والله لأقتلنكم، فقال له شيخ منهم: أليس قد نهاكم أبو بكر أن تقتلوا من صلى إلى القبلة؟ فقال خالد: بلى قد أمرنا بذلك، ولكنكم لم تصلوا ساعة قط، قال: فوثب أبو قتادة إلى خالد بن الوليد فقال: أشهد أنك لا سبيل لك عليهم، قال خالد: وكيف ذلك؟ قال: لأنني كنت في السرية التي قد وافتهم فلما نظروا إلينا قالوا: من أين أنتم؟ قلنا: نحن المسلمون، فقالوا: ونحن المسلمون، ثم أَدَّنا وصلينا فصلوا معنا، فقال خالد: صدقت يا أبا قتادة إن كانوا قد صلوا معكم فقد منعوا الزكاة التي تجب عليهم، ولا بد من قتلهم. قال: فرفع شيخ منهم صوته وتكلم، فلم يلتفت خالد إليه وإلى مقاتله، فقدمهم ف ضرب أعناقهم عن آخرهم. قال: وكان أبو قتادة قد عاهد الله أنه لا يشهد مع خالد بن الوليد مشهداً أبداً بعد ذلك اليوم. قال: ثم قدم خالد مالك بن نويرة ليضرب عنقه فقال مالك: أقتلني وأنا مسلم أصلي إلى القبلة؟ فقال له خالد: لو كنت

مسلماً لما منعت الزكاة ولا أمرت قومك بمنعها، والله ما نلت ما في مثابتك حتى أقتلك. قال: فالتقت مالك بن نويرة إلى امرأته فنظر إليها ثم قال: يا خالد بهذه قتلتنني؟ فقال خالد: بل الله قتلك برجوعك عن دين الإسلام وجفلك لإبل الصدقة وأمرك لقومك بحبس ما يجب عليهم من زكاة أموالهم. قال: ثم قدمه خالد فضرب عنقه صبراً. ويقال إن خالد بن الوليد تزوج بامرأة مالك ودخل بها، وعلى ذلك أجمع أهل العلم^(١٣).

وفي سبب حنق الخليفة الأول عليه وقتل خالد بن الوليد له جاء في بحار الأنوار أنه لما توفي رسول الله ﷺ ورجع بنو تميم إلى المدينة ومعهم مالك بن نويرة، فخرج لينظر من قام مقام رسول الله ﷺ، فدخل يوم الجمعة - وأبو بكر على المنبر يخطب الناس - فنظر إليه وقالوا: أخو تيم؟

قالوا: نعم. قال: ما فعل وصي رسول الله ﷺ الذي أمرني بموالاته؟ قالوا: يا أعرابي الأمر يحدث بعد الأمر الآخر. قال: تالله ما حدث شيء، وإنكم لحنتم الله ورسوله، ثم تقدم إلى أبي بكر وقال له: من أرقاك هذا المنبر ووصي رسول الله ﷺ جالس؟! فقال أبو بكر: أخرجوا الأعرابي البوال على عقبيه من مسجد رسول الله ﷺ!

فقام إليه قنفذ بن عمير وخالد بن الوليد فلم يزالا يلکزان عنقه حتى أخرجاه، فركب راحلته وأنشأ يقول شعراً:

أطعنا رسول الله ما كان بيننا	فيا قوم ما شأني وشأن أبي بكر
إذا مات بكر قام عمرو أمامه	فتلك - وبيت الله - قاصمة الظهر
يذب ويغشاه العشار كأنما	يجاهد جما أو يقوم على قبر
فلو طاف فينا من قریش عصابة	أقمنا ولو كان القيام على جمر

قال: فلما استتم الأمر لأبي بكر وجه خالد بن الوليد وقال له: قد علمت ما



قال على رؤوس الأشهاد، لست آمن أن يفتق علينا فتقاً لا يلتأم، فاقتله، فحين أتاه خالد ركب جواده وكان فارساً يعد بألف فارس، فخاف خالد منه فأمنه وأعطاه الموائيق، ثم غدر به بعد أن ألقى سلاحه فقتله، وعرس بامرأته في ليلته، وجعل رأسه في قدر فيها لحم جزور لوليمة عرسه لامرأته^(١٤).

والعجب كل العجب في ردة الفعل المتباينة من الخليفة الأول والخليفة الثاني في كيفية التعامل مع خالد بن الوليد بعد هذه الجريمة الشنيعة التي يندى لها الجبين، بعد أن شهد أبو قتادة الأنصاري والخليفة الثاني بل والخليفة الأول على إسلام مالك بن نويرة حين مقتله، فلذا أقدم الخليفة الأول على دفع دية مالك بن نويرة من بيت مال المسلمين.

قال ابن أبي الحديد المعتزلي: "لما قتل خالد مالك بن نويرة ونكح امرأته، كان في عسكره أبو قتادة الأنصاري، فركب فرسه، والتحق بأبي بكر، وحلف ألا يسير في جيش تحت لواء خالد أبداً، فقصّ على أبي بكر القصة، فقال أبو بكر: لقد فتنت الفنائم العرب، وترك خالد ما أمرته، فقال عمر: إن عليك أن تقيده بمالك، فسكت أبو بكر، وقدم خالد فدخل المسجد وعليه ثياب قد صدئت من الحديد، وفي عمامته ثلاثة أسهم، فلما رآه عمر قال: أرياء يا عدو الله! عدوت على رجل من المسلمين فقتلته، ونكحت امرأته، أما والله إن أمكنتني الله منك لأرجمنك، ثم تناول الأسهم من عمامته فكسرها، وخالد ساكت لا يرد عليه، ظناً أن ذلك عن أمر أبي بكر ورأيه، فلما دخل إلى أبي بكر وحده، صدّقه فيما حكاه وقبل عذره. فكان عمر يحرض أبا بكر على خالد ويشير عليه أن يقتص منه بدم مالك، فقال أبو بكر: إيه يا عمرا! ما هو بأول من أخطأ، فارفع لسانك عنه، ثم ودى مالكا من بيت مال المسلمين^(١٥).

وقال أيضاً: "لما صالح خالد أهل اليمامة وكتب بينه وبينهم كتاب الصلح، وتزوج ابنة مجاعة بن مرارة الحنفي، وصل إليه كتاب أبي بكر: لعمرى يا بن أم خالد، إنك لفارغ حتى تزوج النساء، وحول حجرتك دماء المسلمين لم تجف بعد... في كلام أغلظ له فيه، فقال

خالد: هذا الكتاب ليس من عمل أبي بكر، هذا عمل الأعيسر يعنى عمر^(١٦).

أهل البحرين والردة

البحرين الكبرى هي اسم جامع لبلاد واسعة على ساحل البحر الواقع بين جزيرة العرب وبلاد فارس. وقيل: هي قصبه هجر، وقيل: هجر قصبه البحرين، وفيها عيون ومياه وبلاد واسعة. وقال أبو عبيدة: البحرين هي الخطّ والقطيف والآرة وهجر وبينونة والزارة وجواثا والسّابور ودارين والغابة، وقصبه هجر هي الصّفا والمشقر^(١٧).

فالبحرين إذن كانت قديماً تُطلق على ما يعمّ الأحساء ويقال لها الحسا وهي هجر، ويعم القطيف وهي الخط، ويعم أوّال -التي هي اليوم البحرين- وبهذا يكون اسم البحرين في هذا العصر قد اختُصر بأوّل.

وتعددت الأقوال في سبب تسميتها بالبحرين، فقد قيل أن سبب ذلك يرجع إلى وجود ينابيع طبيعية حلوة تتفجر في قاع الخليج، فينبثق منها الماء العذب وسط المياه البحرية المالحة. وقيل إنها سميت بالبحرين لأنها كانت تقع على شاطئ بحرين وهما بحر عمان، والبحر الفارسي^(١٨).

ومن مفاخر بلاد البحرين هو ما ينقله المؤرخون في موضوع صلة البحرين بالإسلام، فقد كان أهلها من أوائل المصغين لصوت الإسلام، وأوائل المستجيبين لتلك الدعوة عن اختيار وطواعية، قبل أن تسلم المناطق القريبة من المدينة المنورة بما فيها مكة نفسها، وقبائل وسط الجزيرة العربية.

ففي السنة السادسة للهجرة كانت البشارة تزف إلى أهالي البحرين على يد موفد من رسول الله ﷺ إلى والي البحرين العلاء بن عبد الله الحضرمي، وكان يحمل رسالة خطية من الرسول ﷺ إلى والي البحرين المنذر بن ساوى وهذا نصها: «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى سلام عليك

فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، وأشهد أن لا إله إلا هو أما بعد: فإني أدعوك إلى الإسلام فأسلم تسلم، وأسلم يجعل لك الله ما تحت يديك، واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الحق والحافر. محمد رسول الله»^(١٩).

وبعدها توجه العلاء إلى المنذر قائلاً: يا منذر: إنك عظيم العقل في الدنيا فلا يصغرن بك في الآخرة، إن المجوسية شرّ دين ينكح فيها ما يستحيا من نكاحه، ويأكلون ما يتكره من أكله، وتعبدون في الدنيا ناراً تأكلكم يوم القيامة، ولست بعديم العقل والرأي، فانظر هل ينبغي بمن لا يكذب في الدنيا أن لا نصّده ولمن لا يخون أن لا نأتمنه ولمن لا يخالف أن لا نثق به، فإن كان هذا هكذا فهذا هو النبي الأمي الذي والله لا يستطيع ذو عقل أن يقول ليت ما أمر به نهى عنه أو ما نهى عنه أمر به.

فقال المنذر: قد نظرت في هذا الذي في يدي فوجدته للدنيا دون الآخرة، ونظرت في دينكم فرأيتته للآخرة والدنيا، فما يمنعني من قبول دين فيه أمنيّة الحياة وراحة الموت، ولقد تعجبت أمس ممن يقبله، وعجبت اليوم ممن يرّده، وأن من إعظام من جاء به أن يعظم رسوله.

فأسلم المنذر، كما أسلم العرب كلهم وبعض الفرس، ثم بعث المنذر برسالة إلى النبي ﷺ بشأن المجوس واليهود الذين أبوا الدخول في الإسلام وقال: أما بعد، يا رسول الله، فإني قرأت كتابك على أهل هجر، فمنهم من أحب الإسلام ودخل فيه، ومنهم من كرهه، وبأرضي مجوس ويهود فأحدث يا رسول الله في ذلك أمرك فرد رسول الله عليه في كتاب بعثه إليه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى، سلام عليك فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو وأنه من ينصح نفسه ومن يطع رسلي فقد أطاعني ومن نصّحهم فقد نصّح لي، وأنّ رسلي قد اثبتوا عليك خيراً، وأني قد شفعتك في قومك، فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه وأنتك مهما تصلح فلن نغزلك عن عملك ومن أقام على مجوسيته أو يهوديته فعليه

الجزية»^(٢٠) فصالح العلاء اليهود والنصارى والمجوس على جزية وهي نصف غلاتها، وقيل عن كل حالم دينار^(٢١).

إذن فصلة البحرين بالإسلام قديمة، وكانت ثاني منطقة تدخل الإسلام بعد المدينة المنورة، وقد أقيمت في مسجد جواثا بالبحرين ثاني جمعة في الإسلام، بعد الجمعة التي أقيمت في مسجد الرسول ﷺ^(٢٢).

وقد كان لاستجابة أهل البحرين للدعوة الإسلامية طوعاً وقهرً خاص ومعنى بليغ أعظمه وأكبره رسول الله ﷺ في عدة أحاديث، منها: عن نافع العبدي أن رسول الله ﷺ قال: «أسلمت عبد القيس طوعاً وأسلم الناس كرهاً فبارك الله لي في عبد القيس»^(٢٣).

وهناك روايات أخرى توضح تقدير رسول الله ﷺ لبني عبد القيس منها قوله: «خير أهل المشرق عبد القيس»، وقوله: «أنا حجيج من ظلم عبد القيس»، وقوله أيضاً: «اللهم اغفر لعبد القيس ثلاثاً»^(٢٤).

وعبد القيس هي القبيلة التي ينحدر عنها أهل البحرين، حيث إن البحرين قديماً كانت تتمثل في قبيلتين^(٢٥):

- قبيلة بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، من أشهر قبائل ربيعة، وقد اعتنق قسم منها النصرانية، و كانت ديار بكر بن وائل في اليمامة غرباً إلى البحرين شرقاً، ومن البحرين وأسياف البحر جنوباً إلى الأبلّة في البصرة، ثم امتدّت إلى هيت شمالاً، ثم توغلت داخل العراق في أعالي دجلة شمالاً إلى ما يعرف اليوم بديار بكر في تركيا.

- قبيلة عبد القيس بن أفصي بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، وهي قبيلة عظيمة من العدنانية، كانت مواطنهم بتهامة،

ثم خرجوا إلى البحرين.

أما قبيلة تميم فهي تنتسب إلى تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وقد استقرت في البحرين في زمن الجاهلية، ثم تفرقت في الحواضر ولم تبقى منها بقية^(٢٦).

وقد اقترنت البحرين بقبيلة عبد القيس أكثر من اقترانها بالقبائل الأخرى التي سكنت البحرين، نظرا لكثرة عدد قبيلة عبد القيس وانتشارها في أنحاء مختلفة من البحرين وتأثيرها الواضح في واقع البحرين في تلك الحقبة^(٢٧).

أما تشيع أهل البحرين وولاؤهم لآل بيت النبوة ﷺ وإيمانهم بأحقية الإمام علي عليه السلام في الخلافة، فقد كان في زمن النبي ﷺ، ويعود ذلك إلى السنة التاسعة للهجرة، حيث عزل رسول الله ﷺ العلاء الحضرمي عن ولاية البحرين، وتولى مكانه أبان بن سعيد بن العاص الأموي القرشي، وكان من أولياء الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وشيعته، ومما يؤيد تشييعه ما ذكره ابن الأثير في أسد الغابة، حيث قال: وكان أبان أحد من تخلف عن بيعة أبي بكر لينظر ما يصنع بنو هاشم فلما بايعوه بايع^(٢٨).

وبعد أن قبض النبي ﷺ فارق أبان البحرين، ورجع إلى المدينة فأراد أبو بكر أن يرده إليها، فقال: لا أعمل لأحد بعد رسول الله ﷺ^(٢٩) ولعله أول غارس لشجرة الولاء فيها^(٣٠).

وتعاقب على المنطقة ولاية آخرون في زمن الخلفاء أبي بكر وعمر وعثمان، أمثال العلاء الحضرمي وعثمان بن أبي العاص الثقفي وقدامة بن مظعون وربيع بن زياد الحارثي.

وفي عهد الإمام علي عليه السلام تولى عمر بن أبي قتادة المخزومي وهو ابن أم سلمة زوجة رسول الله ﷺ، وقد تربى عمر في بيت الرسول ﷺ، وكان

معروفاً بولائه لعلي بن أبي طالب عليه السلام، ولعل في ذلك انعكاس اجتماعي وفكري على ولايته للبحرين، فترعرعت غرسة التشيع التي زرعها أبان، وتحولت المنطقة تدريجياً إلى منطقة شيعية دان فيها سكانها بالولاء لأهل البيت عليهم السلام. ولكن ما لبث أن عزل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام عمر بن أبي قتادة، واستعمل مكانه نعمان بن عجلان الزرقى.

وقد بعث الإمام علي عليه السلام رسالة إلى عمر جاء فيها: «أما بعد فإنني قد وليت نعمان بن عجلان الزرقى على البحرين ونزعت يدك بلا ذم لك ولا تثريب عليك، فلقد أحسنت الولاية وأديت الأمانة فأقبل غير ظنين ولا ملوم ولا متهم ولا مأثوم، فلقد أردت المسير إلى ظلمة أهل الشام وأحببت أن تشهد معي، فإنك ممن استظهر به على جهاد العدو وإقامة عمود الدين إن شاء الله» ^(٣١).

إن هذه المعطيات التاريخية المرتبطة بإسلام أهل البحرين - ممثلة في قبيلة عبد القيس - طوعية وولائهم لأهل بيت النبوة سلام الله عليهم أجمعين تحتم علينا أن نتأمل فيما ذهب إليه الطبري في تاريخه ونقل عنه جل المؤرخين - دون تحقيق - من دعوى ردة أهل البحرين زمن خلافة أبي بكر ^(٣٢)، وإن خالف في ذلك الواقدي في كتاب الردة، فذهب إلى أن عبد القيس لم يرتدوا مع من ارتد، وحصر الردة في قبيلة بكر بن وائل ^(٣٣).

وقد ذهب بعض الباحثين المعاصرين إلى ضعف النقلين، أما ما أورده الطبري فبسیف بن عمر الضبي الأسدي المتفق على ضعفه والمعروف بكذبه ^(٣٤)، وأما ما أورده الواقدي فللاختلاف في وثاقته، حيث وثقه بعض وضعفه بعض آخر ^(٣٥)، وبعدها رجح ما نقله الواقدي متمسكاً بالأقل ضعفاً، لأن سيف بن عمر متفق على ضعفه، بينما الواقدي مختلف فيه ^(٣٦).

وهناك من ذهب من الباحثين المعاصرين إلى أن تهمة الردة لأهل البحرين استندت إلى خلفيات سياسية لها ارتباط وثيق بتشييعهم وولائهم لأهل

البيت عليه السلام وعدم قبولهم لخلافة الخليفة الأول، وامتناعهم عن إعطاء الزكاة له ^(٣٧). أقول: لا نحتاج إلى رفع تهمة الردة عن أهل البحرين بترجيح ما نقله الواقدي أو تأويل ما نقله الطبري، فيكفي لدفع تهمة الردة عدم الدليل على ثبوتها، فالذي ادّعاها إنما عوّل على من اتفقت الكلمات على ضعفه وكذبه ووضعه واتهامه بالزندقة، ألا وهو سيف بن عمر ^(٣٨)، وإسلام أهل البحرين طوعية مورد إجماع، فخلافه هو الذي يحتاج إلى دليل.

فتحصّل مما ذكر أن أهل الردة هم من كفروا بعد إسلامهم، كمسيلمة وطليحة والعنسي وأضرابهم، أما من منع الزكاة لا لإنكار وجحود، بل لرفضه الإقرار بخلافة الخليفة الأول ولزوم مبايعته تمسكاً بحديث الغدير، ولكونه مؤثماً على الصدقات من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله في قومه، كمالك بن نويرة فليس بمرتد. وإنما كان قتال هؤلاء تحت مظلة الارتداد هو من البدع التي سُنّت وأسس لها من تلك الحقبة لأغراض سياسية، فألقت بظلالها على الحركات التكفيرية المعاصرة، فكانت سنة سيئة اقتدى بها هؤلاء وحمل وزرها أولئك.

الهوامش:

- (١) أي ادّعى نزول الوحي عليه.
- (٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، ج ٢ ص ٤٧٥.
- (٣) ابن خلكان، أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٣ ص ٦٨.
- (٤) الواقدي، محمد بن عمر، الردة، ص ٥١.
- (٥) الطوسي، محمد بن الحسن، المبسوط، ج ٧ ص ٢٦٧.
- (٦) العاملي، السيد جعفر مرتضى، الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام، ج ١١ ص ٩٩.
- (٧) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، ج ٢ ص ٤٣١.
- (٨) ابن خلكان، أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٣ ص ٦٧.
- (٩) ابن خلكان، أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٣ ص ٦٧.

- (١٠) المصدر السابق.
- (١١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٥٠٠.
- (١٢) الكوراني، علي العاملي، قراءة جديدة لحروب الردة، ص ٢٢١.
- (١٣) الكوفي، أحمد بن أعثم، الفتوح، ج ١ ص ٢٠.
- (١٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٣٠ ص ٣٤٦.
- (١٥) المعتزلي، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١ ص ١٧٩.
- (١٦) المصدر السابق.
- (١٧) الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، ج ١ ص ٣٦٤.
- (١٨) الريحاني، أمين، ملوك العرب، ج ٣ ص ٢٣٦.
- (١٩) الأحمدى، علي، مكاتيب الرسول، ص ١٤١.
- (٢٠) الأحمدى، علي، مكاتيب الرسول، ص ١٤١.
- (٢١) الحلبي، علي بن إبراهيم، السيرة الحلبية، ج ٣ ص ٣٠٠.
- (٢٢) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، السيرة النبوية، ج ٤ ص ٩٢.
- (٢٣) المتقي الهندي، علي بن حسام، كنز العمال، ج ١٢ ص ٦٠.
- (٢٤) الشيباني، أحمد بن حنبل، ج ٤ ص ٢٠٦.
- (٢٥) كحالة، عمر بن رضا، معجم قبائل العرب، ج ١ ص ٩٣.
- (٢٦) كحالة، عمر بن رضا، معجم قبائل العرب، ج ١ ص ٩٣.
- (٢٧) الشمري، محمد كريم إبراهيم، البحرين في مؤلفات جغرافي القرنين الثالث والرابع الهجريين، ص ١٢٣.
- (٢٨) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، أسد الغابة، ج ١ ص ٣٧.
- (٢٩) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، أسد الغابة، ج ١ ص ٣٧.
- (٣٠) المظفر، محمد حسين، تاريخ الشيعة، ص ٢٥٥.
- (٣١) المعتزلي، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٦ ص ١٧٣.
- (٣٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، ج ٢ ص ٥١٩.
- (٣٣) الواقدي، محمد بن عمر، الردة، ص ١٤٧.
- (٣٤) الذهبي، محمد بن أحمد، ميزان الإعتدال، ج ٢ ص ٢٥٥.

(٣٥) المصدر السابق، ص ٦٦٥.

(٣٦) سيد مرزوق، حسن سعيد، حركة الردة في البحرين، ص ٤٩.

(٣٧) التاجر، محمد علي، عقد الآل في تاريخ أوّال ص ٧٣.

(٣٨) الذهبي، محمد بن أحمد، ميزان الاعتدال، ج ٢ ص ٢٥٥.

صَلَّى مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ